

المحاضرة السابعة

الدرس الإعجازي وأثره في النقد

الأستاذان: - داود امحمد

- زروقي عبد القادر

يستدل على صحة النبوة بوجود المعجزة.

وكل نبي يؤيد دعواه بمعجزة.

المعجزة كما يقول الخطابي "تكون أمرا خارجا عن مجاري العادات ناقضا لها"

تكون من قبل ما استحکم في زمانه، وغلب على الخاصة وعظم في نفوس العامة

فكانت معجزة موسى عليه السلام العصا.

ومعجزة عيسى عليه السلام الطب.

ومعجزة محمد صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم.

فكان مما تحدى به القرآن الناس أن يأتوا بسورة من مثله يقول القاضي عبد الجبار "الواجب أن يكون التحدي في القرآن على الطريقة المعتادة في الفصحاء، لأنهم قد كانوا يتبارون، ويتحدى بعضهم بعضا في الكلام الفصيح من منظوم ومنثور".

ولاحظ العرب أن في القرآن تفوقا معجزا.

وصار القرآن في المرتبة الأولى وتراجع الشعر عن مرتبته التي احتلها طيلة العهد الجاهلي.

وخلال القرنين الأول والثاني لم يكن المسلمون بحاجة إلى الكشف عن سر الإعجاز إلى أن جاء القرن الثالث صار المسلمون بحاجة إلى الدفاع عن الإسلام والوقوف في وجه الثقافات الوافدة والتيارات المناوئة، فحملوا هم الكشف عن أسرار البلاغة القرآنية ودلائل الإعجاز فيه.

وألف العلماء عديد الكتب حول القرآن الكريم، نذكر منها معاني القرآن للفراء، (207) ومجاز القرآن لأبي عبيدة (209) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (276) وكانت هذه البدايات الأولى.

ثم بدأ البحث في إعجاز القرآن ينضج على يدي الرماني، الخطابي، الباقلاني، وغيرهم ممن بحث عن ممكن المزية في إعجاز القرآن، وكان لهذه البحوث أثر على الإبداع نفسه مما ساهم في تطوير النقد الأدبي.

الرماني وقضية اللفظ والمعنى:

يرفض الرماني أن تكون البلاغة إفهام المعنى، لأنه يفهم المعنى متكلمان أحدهما بليغ والآخر عيي.

يرفض أن تكون البلاغة بتحقيق اللفظ والمعنى لأنه قد يحقق اللفظ على المعنى وهو غث مستكره ونافر.

وهذا عكس ما ذهب إليه بشر بن المعتمر الذي طلب أن يكون المعنى ظاهرا مكشوفًا وقريبًا معروفًا، واللفظ أن لا يوضع في غير موضعه فهذان أمران غير كافيين.

فالبلاغة عنده "إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ" والبلاغة عنده ثلاث طبقات: "منها ما هو أعلى طبقة ومنها ما هو أدنى طبقة ومنها ما هو في الوسائط فما كان في أعلاها طبقة فهو معجز، وما كان دون ذلك فهو ممكن كبلاغة البلغاء من الناس"

وهناك علاقة أكيدة بين البلاغة واللفظ والمعنى

تقديم المعنى وحسن الصورة:

يقول الرماني: "كان الغرض الذي هو حكمة، إنما هو الإبانة عن المعاني التي الحاجة إليها ماسة، وعن فواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة لأنها طريق إلى إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة يدل عليها"

القاضي عبد الجبار: "فسر الفصاحة بأنها جزالة اللفظ وحسن المعنى، والفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام وإنما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة"

عبد القاهر الجرجاني: "البلاغة والفصاحة هما موضع التحدي عند عبد القاهر الذي أطلق عليها اسم النظم، لأن التفاضل بين اللفظتين لا يجوز وهما معزولتان، إذ لا يعقل أن تتفاضل كلمتان مفردتان من غير أن ينظر إلى مكان تقعان فيه من التأليف والنظم"

الخطابي: عمود البلاغة عنده هو "وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة" والبلاغة والرونق بدقة استعمال الكلمات في مواضعها.

إذ بالنسبة إليه أن في الكلام ألفاظا متقاربة في المعاني يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة مراد الخطاب

الناقد الواحد يلعب دورين في آن معا فيكون إعجازيا من خلال قراءته النقدية للنص القرآني، وناقدا من خلال قراءته لسائر النصوص الإبداعية.

المحاضرة السابعة: الدرس الإعجازي وأثره في النقد